رباعيات الخيام

أحمد رامي

دار الشروق

رباعيات الخيام

طبعة دار الشروق الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk. Com.

أحمد رامي

رباعيات الخيام

دار الشروق

إهــــــداء

بين يديك الآن الطبعة الخامسة والعشرون من رباعيات الخيام التى ترجمها نظمًا عن الفارسية والدى الشاعر أحمد رامي. وقد بدأ فى ترجمتها فى باريس سنة ١٩٢٣ بعد دراسته اللغة الفارسية فى مدرسة اللغات الشرقية فى جامعة السوربون. وقد صدرت الطبعة الأولى فى القاهرة فى صيف ١٩٢٤.

ظلت رباعيات الخيام غائبة فى بطن الكتب، ضائعة فى حنايا المكتبات حتى ترجمها إلى الإنجليزية الشاعر «فتزجرالد» سنة ١٨٥٩ ثم توالت الترجمات بها بعدة لغات أجنبية، وقد صدرت باللغة العربية مترجمة عن الإنجليزية. ولقد قال لى والدى إنه عندما قرأ هذه الترجمات المختلفة أحس أن هناك تناغمًا بينه وبين الخيام، فهو طروب مثله، غنائى مثله، محب للحياة مثله.

لقد كتب عمر الخيام:

«أولى بهذا القلب أن يخفقا   وفى ضرام الحب أن يحرق
ما أضيع اليوم الذى مر بى   من غير أن أهوى وأن أعشق»

وقد عاش أحمد رامى طوال حياته المديدة؛ ليحب كل ما هو جميل فى الحياة.

وشعر أحمد رامى أن الترجمة من لغة إلى لغة قد تؤدى إلى فقدان بعض من الإحساس والمعانى التى فى النص الأصلى، ولهذا قرر أن يدرس الفارسية؛ ليحس بروح الخيام الأصلية فى رباعياته. وقد قام بدراسة كل النسخ الخطية للرباعيات فى مكتبات باريس ولندن وبرلين والقاهرة، واختار من كل ما نسب إليه ما تحقق له مصدره ووضح خبره، ولمس فيه عمق تفكيره وطلاوة أسلوبه، وسمع منه نجوى روحه ووحى خاطره.

ولقد أهدى أحمد رامى ترجمته الأولى للرباعيات إلى روح أخيه الذى رحل فى ميعه الشباب وصبَّر نفسه بقرضها على فقده.

ونحن عائلة شاعر الشباب أحمد رامى نهدى هذه الطبعة الخامسة والعشرين إلى روح كاتبها أحمد رامى، علَّها تصبر أنفسنا وأنفس محبيه بقراءتها على فقده.

توحيد رامى

يناير ٢٠٠٠

إلى روح شقيقى

محمود رامى

توفى ودفن بحلفا فى أول أغسطس سنة ١٩٢٣

أحمد رامى

«اللهم إنى عرفتك على مبلغ إمكانى
فاغفر لى؛ فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك»

عمر الخيام



مقدمة

عمر الخيام:

ولد غياث الدين عمر أبوالفتح بن إبراهيم الخيام في نيسابور عاصمة خراسان حوالى سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠م.) في عهد السلطان أرطغرول أول ملوك السلاجقة. وذاعت شهرته في عهد السلطان ملك شاه، وتوفي حوالى سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣م.) في عهد السلطان سنجر.

وقيل إنه ولد في قرية «شمشاد» من أعمال «بلخ» وقيل بل ولد في قرية «بسنك» من أعمال «أستراباد». لكنه على كل حال توطن «نيسابور» وتوطنها أهله، وكان بدء دراسته في (المدرسة) الشهيرة بها. ومات فيها وما زال قبره في مدفن الحيرة المعروف بمشهد على.

قال النظامي السمرقندي في كتابه (جهار مقاله) الذي كتبه حوالى سنة ٥٥٠ هـ. وهو أقدم مصدر لتاريخ الخيام:

«هبط عمر بن الخيام سنة ٥٠٦ هـ مدينة بلخ. ونزل فى قصر الأمير أبى سعد، وكنت فى خدمة الأمير فسمعت حجة الحق عمر يقول: «سيكون قبرى فى موضع تنتثر الأزهار عليه كل ربيع» وظننته يقول مستحيلا، ولكنى كنت أعلم أنه لا يلقى القول جزافًا. ثم هبطت نياسبور سنة ٥٣٠ هـ. فقيل لى إن ذلك الرجل العظيم قد مات، وكان له علىّ حق الأستاذ، فرأيت من واجبى أن أزور قبره. وصحبت من يدلنى عليه، فأخرجنى إلى مقبرة الحيرة. وهناك رأيت على يسار الزائر فى سفح سور حديقة موضع دفنه، ورأيت أشجار الكمثرى والمشمش وقد تدلت أغصانها من داخل الحديقة ونثرت على قبره النوّار حتى كادت تخفيه عن الأبصار، فعدت بالذكرى إلى تلك القصة التى سمعتها منه فى بلخ، وغشينى الحزن وغلبنى البكاء؛ لأنى لم أكن أعرف له ندًا بين الرجال. ولكنى تأسيت وفهمت أن الله تعالى أسكنه فسيح جناته».

وقال النظامى فى موضع آخر من كتابه:

«فى شتاء سنة ٥٠٨ هـ، فى مدينة مرو أرسل السلطان ملك شاه فى طلب صدر الدين بن المظفر رحمه الله وكلفه أن يخبر الخيام - وكان ينزل فى داره - أن السلطان يريد الخروج للصيد وأنه يطلب من عمر أن يختار لذلك خمسة أيام لا ينزل فيها مطر ولا ثلج. وقبل عمر ما كلف به، ثم أرسل ابن المظفر إلى السلطان يخبره بما اختاره. ولما أعد السلطان عدته للرحيل هطل المطر وهبت الرياح عواصف ونزل الثلج والبرد. وأراد السلطان أن يعود؛ ولكن الخيام قال: «لا تشغل

بالك فإن المطر سينقطع فى هذه الساعة، ثم لا يهطل مدة الخمسة الأيام اللاحقة، وسار السلطان وانقطع المطر طوال الأيام الخمسة».

وقال الشهرزورى فى كتابه «نزهة الأرواح» وقد كتبه حوالى سنة ٦٠٠ هـ:

«كان عمر الخيام النيسابورى الآباء والوطن، تلو ابن سيناء فى علوم الحكمة وقد تأمل كتابًا فى أصفهان سبع مرات فحفظه ثم عاد إلى نيسابور فأملاه. وكان يميل إلى التصنيف والتعليم. وله مختصر فى الطبيعيات ورسالة فى الوجود ورسالة فى الكون والتكليف. وكان عالمًا فى الفقه واللغة والتاريخ.

دخل الخيام على الوزير «عبد الرازق» وفى مجلسه إمام القراء «أبو الحسن الغزالى» وكانا يتكلمان فى اختلاف القراء على آية. فقال الوزير: «على الخبير سقطنا» ثم سأل عمر فذكر له أقوال القراء وعلّل كل قول منها وذكر الشواذ وعلّلها وفضّل وجهًا واحدًا. فقال الغزالى: أكثر الله فى العلماء من أمثالك، لم أكن أحسب أن أحدًا يحفظ ذلك من القرّاء فكيف بأحد الحكماء.

وأما علوم الحكمة، فقد كان حجة فيها. دخل الخيام على السلطان سنجر وهو صبى، وقد أصابه الجدرى، فلما خرج سأله الوزير: كيف رأيته وبأى شيء عالجته؟ فقال عمر: الصبى مخوف. فرفع خادم حبشى ذلك إلى ولىّ العهد، فلما برىء من دائه أبغض عمر. ولكن السلطان «ملك شاه» كان ينزله منزلة الندماء. وكان الخاقان «شمس الملوك» فى «بخارا» يعظمه ويجلسه معه على سريره.

وحكى أن «عمر الخيام» كان يتأمل الإلهيات من كتاب الشفا لابن سينا، فلما وصل إلى فصل «الواحد والكثير» وضع الكتاب وقام فصلى ثم أوصى ولم يأكل ولم يشرب، فلما فرغ من صلاة العشاء سجد لله وقال في سجوده: «اللهم إنى عرفتك على مبلغ إمكانى فاغفر لى، فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك». ثم أسلم نفسه الأخير.

وقال القفطى فى كتابه (تاريخ الحكماء) وقد ألفه سنة ٦٤٠ هـ:

«عمر الخيام، إمام خراسان. وعلامة الزمان. يعلم علم يونان ويحثُّ على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية، لتنزيه النفس الإنسانية، ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية، وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم، وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلوتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع، ومجامع للأغلال جوامع، ولما قدح أهل زمانه فى دينه، وأظهروا ما أسرّ من مكنونه، خشى على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلبه، وحج متاقاة لاتقية، وأبدى أسرارًا من السرار غير نقية، ولما حصل ببغداد سعى إليه أهل طريقته فى العلم القديم فسدّ دونهم الباب سدّ النادم لا سدّ النديم، ورجع من حجه إلى بلده يروح إلى محل العبادة ويغدو، ويكتم أسراره ولا بد أن تبدو، وكان عديم القرين فى علمى النجوم والحكمة، وبه يضرب المثل فى هذه الأنواع لو رزق العصمة».

وقال ابن الأثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) وقد ألفه سنة ٦٢٨ هـ:

«وفى سنة ٤٦٧ هـ. جمع الوزير نظام الملك والسلطان ملك شاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمَل، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت، وصار ما فعله السلطان مبدأ التقويم وفيها أيضًا عمل الرصد للسلطان ملك شاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيام، وأبو المظفر الإسفزارى وميمون بن نجيب الواسطى، وخرج عليه من الأموال شىء عظيم وبقى الرصد دائرًا إلى أن مات السلطان سنة ٤٨٥ هـ. فبطل بعد موته».

وجاء فى كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) وقد ألفه زكريا قزوينى سنة ٦٧٤ هـ:

«نيسابور ينسب إليها من الحكماء عمر الخيام، وكان عارفًا بجميع أنواع الحكمة سيما نوع الرياضى، وكان فى عهد السلطان ملك شاه السلجوقى. وقد سلم إليه مالاً كثيرًا، ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب، فمات وما تم ذلك».

«وحكى أنه نزل ببعض الربط فوجد أهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها على ثيابهم، فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها».

«وحكى أن بعض الحكماء كان يمشى إليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درسًا من الحكمة، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء وبلغ ذلك عمر، فأمر بإحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره، فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم

بدق الطبول والنفخ فى البوقات فجاء الناس من كل صوب، فقال عمر: «يا أهل نيسابور هذا عالمكم يجيئنى كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ منى العلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون، فإن كنت كما يقول فلأى شيء يأخذ علمى، وإلا فلأى شيء يذكر أستاذه بالسوء».

وجاء فى (جامعة التواريخ) لرشيد الدين فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

وذكر فى كتاب (تاريخ كزيدة) لحمد الله قزوينى وقد ألفه سنة ٧٣٠ هـ. وورد فى (تذكرة الشعراء) لدولت شاه بن علاء وقد ألفه سنة ٨٩٢ هـ. ما يأتى:

«أما الحكيم عمر الخيام فمن نيسابور، وكان رجلا فاضلا تضلع فى علمى النجوم والحكمة وقضى حياته فى الاشتغال بهما، وكان عزيزًا إلى نفوس السلاطين مكرّمًا لديهم. كان نظام الملك الطوسى وعمر الخيام وحسن الصباح يحصلون العلم فى نيسابور، وكانوا زملاء فى الدراسة على الإمام الموفق، فتعاهدوا أن يرعى من يؤتيه الحظ منهم مكانًا ساميًا أخويه الآخرين، فلما ارتفع كوكب إقبال نظام الملك وأصبح وزير البلاد عزم الخيام والصباح على الالتحاق به فقصدا أصفهان، ولما تيسر لهما لقاء الوزير أكرم وفادتهما وسألهما سبب الحضور، فقال الخيام: دعانى إلى قصدك أن تيسر لى سبيل الرزق فى نيسابور فلا أفكر فى أمور الدنيا، فاختصه الوزير من بيت مال نيسابور بمائتين وألف مثقال من الذهب كل سنة ظل يتقاضاها حتى قتل نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ. ثم التفت إلى «الصباح» وسأله عن

قصده فقال: أريد أن أهتم بأشغال الدنيا فخيَّره بين إمارة الرى وإمارة همذان فأباهما وطلب منه أن يشركه فى وزارته، ولكن نظام الملك اكتفى بأن يمنحه مكانًا ساميًا فى القصر فاتصل بندماء السلطان وانقطع معهم إلى لعب النرد والشطرنج حتى اجتذبهم إليه وأصبح بعد قليل حاجب الملك؛ وكان «الصباح» شيعيًا يكره نظام الملك؛ لأنه سُنِّى فدفعه خبث طويَّته إلى دس الدسائس له فاتهمه عند السلطان بتبديد أموال الدولة والتلاعب فيها. ولكن هذه الفرية ظهرت آخر الأمر. فهرب «الصباح» إلى أذربيجان ومنها إلى الشام ثم هبط مصر سنة ٤٧١ هـ. فاستقبله داعى الدعاة أبو داود وقدمه إلى المستنصر بالله الفاطمى فنال لديه حظوة، ثم عاد إلى فارس ينادى خليفة بنزار ابن المستنصر وطاف يبث الدعوة له فى أرجاء كرمان وطبرستان، وقصد بعد ذلك القلعة المعروفة باسم (وكر العقاب) فى قوهستان واشتغل بالعبادة فى مغارة خارج القلعة حتى دعاه حاكمها على بن المهدى إلى النزول فيها، فقال له الصباح: أنا لا أخضع لإنسان فى الوجود فبعنى من أرض هذه القلعة مقدار سلخ بقرة حتى أشتغل بالعبادة فى ملكى، فباعه ذلك، وأقام الصباح فى القلعة فأغوى ساكنيها حتى أحفظهم على حاكمها، ثم أرسل إليه يقول: هذه القلعة ملكى وقد بعتها لى فاخرج منها. ولم يسع الحاكم إلا أن يتركها لعلمه أن رجاله انضموا إلى الصباح».

ومن هذه القلعة نشر الصباح تعاليمه ووطد أركان طائفة الإسماعيلية ثم رأسها وظل يوضع فى الفتنة ويكثر من السلب

والنهب حتى بعث الرعب فى جميع القلوب، وقتل الكثيرين، وكان من ضحاياه نظام الملك، صديق صباه وولىّ نعمته.

وقد جاء ذكر التلاميذ الثلاثة فى (روضة الصفا) لمحمد خاوند شاه المتوفى سنة ٩٠٣ هـ. وفى (حبيب السير) لغياث الدين خاوندمير المتوفى سنة ٩٣١ هـ. ولكن أكثر الباحثين فى تاريخ الخيام يعتقدون أن لا نصيب لهذه القصة من الصحة، فإن مولد نظام الملك زميل الخيام والصباح فى الدراسة فى سنة ٤٠٨ هـ. ووفاة الخيام على المشهور سنة ٥١٧ هـ. ووفاة الصباح سنة ٥١٨ هـ. فلو كان الأخيران زميلين لنظام الملك فى (المدرسة) بنيسابور لوجب أن تكون سن الجميع متقاربة أيام الدراسة، وبقاء الخيام والصباح إلى حوالى سنة ٥١٨ هـ يجعل سن كل منهما ـ كبر أو صغر ـ بضع سنين عن نظام الملك: عشرًا ومائة سنة، ووجود زميلين معاصرين فى هذه السن أمر بعيد الاحتمال.

عصر الخيام:

نشأ السلاجقة وهم من الأتراك الغزّ فى أرض تركستان وأغاروا على نواحى بخارا وسمرقند حوالى سنة ١٠٢٩م، ثم استولوا على طبرستان وثاروا بعد ذلك على الدولة الغزنوية ثم أتوا عليها فى عصر مسعود بن محمود وتقدموا إلى مرو فاستولوا عليها سنة ١٠٣٧م. وهاجموا نيسابور عاصمة خراسان فأخذوها سنة ١٠٣٨م. ولم تأت سنة ١٠٤١م. حتى قضى رئيسهم أرطغرول على عاهل الفرس أنوشروان، وأخذته عزة الملك فكتب إلى الخليفة القائم بأمر الله يؤمّنه على حياته ويطلب منه أن يقرّه على الملك فأناله بغيته، ودخل أرطغرول بغداد ظافرًا سنة ١٠٥٥م، فأجلسه الخليفة إلى جانبه وخلع عليه الخلع وتفضل عليه بلقب ملك المشرق والمغرب، واستتب له الملك فوطد أركانه بزواجه من بنت الخليفة. ومات أرطغرول سنة ١٠٦٣م، فخلفه ابن عمه ألب أرسلان فاتخذ نظام الملك وزيرًا وردّ غارات الرومان على آسيا الصغرى وابتزّ من الفاطميين حلب ومكة والمدينة. وقتل ألب أرسلان سنة ١٠٧٣م، فخلفه ابنه ملك شاه وهو بعد فى الثامنة عشرة من عمره فأبقى نظام الملك وزيرًا للدولة وأخذ من الفاطميين بيت المقدس، وانتعشت فى عهده الحضارة الفارسية وامتدت أملاكه - كما ذكر ابن الأثير - من حدود الصين إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ومات ملك شاه سنة ١٠٩٢م، بعد قتل نظام الملك بشهر واحد، وظل الملك بعده نهبًا بين أولاده الأربعة الذين لم تجمعهم أمّ واحدة، ففشت بينهم روح الخيانة واشتعلت نار الحروب وظلوا يقتتلون فى سبيل العرش حتى هوى بهم جميعًا.

فى هذا العصر نشأ الخيام. عاش فى نيسابور وسافر منها إلى أكثر بلدان العالم المتمدين فى ذلك العهد. حج البيت فى مكة وأقام فى مرو، وزار بلخ وبخارا، وهبط بغداد ونزل أصفهان. ولكن عمرالخيام بالرغم من تلك الأسفار قضى معظم حياته فى نيسابور مسقط رأسه ومراح شبابه. وكانت نيسابور فى ذلك العهد عاصمة خراسان غنية بالخيرات، خصبة التربة، كثيرة الماء، وافرة المحصول، سهولها ناضرة، تكتنفها جبال عالية، وكان فيها ست جامعات، وكان فيها مرصد بناه الوزير نظام الملك.

عاش عمر فى تلك المدينة طالبًا وعالمًا يزيد قدره على مر الأيام ويذيع صيته. عاش محبًا للحياة ومناعم الحياة يتقلب فى أوساط العلماء وتأنس إلى عشرته العظماء. وكان قد درس العلوم الإلهية والفلسفة والمنطق والطبيعة شأن إخوانه فى الجامعات الإسلامية فى ذلك العهد، ولكنه لم يقنع بذلك فدرس الطب ومهر فيه حتى دعاه السلطان ملك شاه فى مرض ولىّ العهد سنجر، وتوفر على درس الرياضيات وأخصها الجبر. وطبَّق علوم الرياضة على الفلك فدعاه ملك شاه مع جمع من العلماء إلى إصلاح التقويم فأخرجوا التقويم الجلالى الذى يبدأ من يوم النيروز (١٦ مارس سنة ١٠٧٩م. ـ ١٠ رمضان سنة ٤٧١ هـ.) ولا يزال مبدأ هذا التقويم عيدًا من أعياد الفرس إلى اليوم. وألَّف عمر الكثير من الكتب العلمية ولكنه لم يعش للآن إلا فى رباعياته.

عيشة الخيام:

عاش الخيام عيشة الشاعر الحكيم أكثر ما نَعَى على الحياة، أشد ما علقت نفسه بما نال منها. لذلك نرى في شِعره نزعة تشاؤم شائعة: ما أسعد الرجل الذي لا يعرفه أحد! ما أهنأ الإنسان الذي لم يهبط الوجود! لِمَ خلقت وكيف لا أستطيع الرحيل متى أردت؟ ليس لنا إرادة في الحياة. القضاء حرب للنفوس الكبيرة. مالنا نعيب القضاء والقضاء مسير بإرادة عالية..؟ حتى إذا اشتدت به الشكوى نقم على القدر وعاد في حيرته يسأل: لماذا ينمحي العالم إن كان كاملا؟ ولماذا يخلق فاسدًا إن كان في القدرة خلقه خيرًا من ذلك؟ وكيف نعاقب وقد كتب علينا في لوح الغيب ما نقترف؟ ثم يعود فيطلب الرحمة للمذنبين طمعًا في كرم الله ولطفه. وأكثر ما يبكي الشاعر «عمر» على قصر الحياة: الأيام تمُر مرّ السحاب ثم يلقى بنا في طباق الأرض فيستوى النازلها غدًا والثاوى فيها من سنين، وما دامت الحياة بهذا القصر فعلامَ الألم ومثوانا التراب ومجلسنا على العشب الذى غذّته أوصال الغابرين، وأكوابنا من الطين الذى اختلطت فيه رءوس الملوك بأقدام السوقة؟

ثم ينعى على الموت ويؤلمه أن لم يعد أحد ممن ذهب فيخبر عن حال الراحلين، ويعتقد أن الإنسان لن يعود إلى هذه الدنيا فيقول: علامَ إضاعة العمر في النوم وعدم انتهاز الفرص؟ إذن سر الحياة أن تصحو وأن تشرب، لا تهتم بأمس ولا بغد، نادم الكأس في مجلس الحبيب ليلا في ضوء القمر.. وسحرًا عند طلوع الفجر.. ومساء عند غروب الشمس على نغم الناى والرباب في الربيع، على شفا الوادى

وعلى ضفاف الغدير، بين الزهر المفتَّر والجوّ المعطَّر.. فإذا ما ذكر حرمانه من الخمر بعد الموت طلب أن يغسّل بها وأن يقدّ نعشه من كَرْمها، حتى إذا بلى جسده ودّ لو تصاغ منه الدنان والأقداح.. فإذا خاف ألسنة السوء قال: لا تهتم بنقد الناقدين.. أرضِ نفسك قبل أن ترضى الناس.. لا تظهر التقى واسخر من المتزهدين، واعلم أن ليس فى العالم إنسان كامل.

وإنما أحب الخيام شرب الخمر لأنها تسمو بروحه حتى تصبح فى نجوة من الجسد.. ولم يقصر حبه على أثرها فى نفسه وإنما أحب طعمها المزّ ولونها الصافى وأحب كأسها الشّفافة ودنّها الملآن.. وكان يجد السعادة فى مجلس الشراب بين الصاحب والنديم.. وكان يوفق إلى هذه المجالس لما اختص به من حلاوة اللسان وسرعة الخاطر وخفة الروح.. وهكذا كان ينسى هموم الحياة أو يتناساها فلا يفكر إلا فى أمر يومه.. على أنه كان يخشى أن يحرمه الموت نعمة هذه المجالس فى حضرة الأوفياء من أصحابه وأخصهم أهل الجمال.. ويمتدّ به الخوف من الموت ويطول به الحنين إلى الحياة حتى يتصوّر قبره تحت نثار من يانع الزهر فتصدق نبوءته. على أن الخيام فى هذا المرح الشامل لم يسلم من الشك الدائم فى أمر القضاء.. ولم يمسك عن السعى إلى حل لغزه الخفى.. حتى إذا يئس من كل شىء ارتمى فى أحضان الأنس واندفع إلى شفة الكأس، فلم تُجدِه الحكمة ولا الاستهتار فتيلا فى فهم أسرار الوجود. ثم يصحو من نشوته وتهدأ أعصابه فيشعر بالخطيئة وينيب إلى الله يسأله الرحمة.. وهو بين

ظلمة الشك ونور اليقين يعتقد بوحدة الروح ويؤمن بعدم فناء المادة ولا يذكر من دورة الفلك إلا مجهولين: الأزل والأبد.

هكذا عاش عمر.. نظر يمنة ويسرة فإذا دول تقوم ودول تفنى.. وإذا النفوس خلت من كريم العواطف والقلوب أقفرت من رقيق الإحساس، وإذا المتقرّبون إلى الملوك ينالون الحظوة لديهم وهم جهلاء، وإذا أدعياء الزهد والصلاح يجهرون بالتقوى وهم أخبث الناس طويّة، وانجلى لعينيه بطلان العالم، وبان له غرور الحياة، فقصر وقته على فئة من أصحابه سكن إليهم وارتاحت نفسه إلى مجالسهم، خاليًا بهم أمام داره فى ضوء القمر أو هائمًا معهم فى نواحى نيسابور بين الحدائق الوارفة الظلال.. وتخلص من متاع الحياة الزائل وآثر أن يكون مذهوبًا به فى عالم الروح حتى يتصل بالخالق الذى منه وإليه كل شىء. وظل فى أوقات نشوته يرسل رباعياته، يبثها أفكاره ويودعها سخره من عيش الغرور.. تقذف به نفسه تارة إلى اليقين فيجأر إلى الله أن يغفر ذنبه ويستر عيبه، وطورًا إلى الشك فيسأل: لِمَ هبط الدنيا ولماذا الرحيل؟

وكان عمر يرسل هذه الرباعيات فى خلوته، ثم ينشدها لأصحابه فى المجالس فتحفظ وتنتشر. ولم يكن يفكر أن تصبح يومًا من الأيام فى كتاب قائم بذاته. أو لعله جمعها أو جمعها أحد خلصائه ثم ضاعت فيما ضاع من تعرض نيسابور للغزو والإحراق.. ومن البدهى أن عمر لم ينظم رباعياته فى دور واحد من أدوار حياته وإنما نظمها فى الفينة بعد الفينة حسب ما أوحى إليه خاطره وأملى عليه وجدانه.

ولو أن هذه الرباعيات وُجدت مجموعة حسب وضعها التاريخى لأمكننا أن نفهم تدرّج روح الشاعرية فى عمر. ولكن جميع المحفوظات التى تحوى هذه الرباعيات تضعها فى ترتيب أبجدى حسب القافية فتضيع بذلك تسلسل أفكار الخيام ولا تعطى صورة مضطردة لحياته أو مناحى تفكيره.

ولعل أظهر ما فى الرباعيات، النعى على قصر الحياة وبطلانها، وهى شكوى الإنسان منذ خلق. والخيام فى نظمها بين متفائل ومتشائم.. وقدرىّ ومتصوف.. وتقىّ ومستهتر. ولكنه أميل ما يكون إلى اليأس إلى حد السخر من الحياة.. والسخر من الحياة إلى حد الضحك من كل شىء فى الوجود.

على أن الصور حية فى شعره.. وهى من صنعه وإن تعددت ألوانها فى شعر غيره. وإنما نفعه فى نشر أفكاره قيام كل رباعية بمعنى واحد، وقيام كل بيت بفكرة واحدة فى أكثر هذه الرباعيات، وآراء عمر الفلسفية مرّة قصيرة تجعل لأسلوبه روحًا خاصًا يختلف عن روح معاصريه من الشعراء. وفى أغلب الرباعيات نفس حائرة تبحث عن الهدوء والحقيقة فى كل مكان.

وإنما ضاع الكثير من هذه الرباعيات لعدم تشجيع النساخ لآرائه الجريئة، وضاعت مخطوطاتها لأن نيسابور تعرّضت بعد موت عمر للغزو والإحراق على يد المغول والتتر.. وتناقلتها الألسنة حتى دخلها التحوير والتبديل.. وتعاقب عليها النُّساخ فغيروا الكثير من معالمها.. ودسُّوا من شعر غيره وأثبتوا له من القول ما برئ منه لسانه. وكيف

لا يكون قد دبّ التحوير إلى هذه الرباعيات من أول الأمر، وأقدم مخطوط لها كتبه أحد سكان شيراز سنة ٨٦٥ هـ. أى بعد موت عمر بخمسين وثلاثمائة سنة؟ وكيف لا يكون عددها قد زاد عما نظمه الخيام، والمخطوط لها كلما بعد به الزمن عن عهد ناظمه زاد عدد ما فيه من الرباعيات عن سابقه حتى وصل عددها إلى ثمانمائة فى أحد مخطوطات كمبردج وأقدم مخطوط لها فى أكسفورد لا يحوى غير ثمان وخمسين ومائة رباعية؟

رباعيات الخيام:

ظلّت رباعيات الخيام غائبة في بطون الكتب، ضائعة في حنايا المكتبات، حتى وفق الأستاذ كويل إلى العثور على أقدم نسخة خطية لها في ذلك العهد في مكتبة بودليان بأكسفورد، فنشر شيئًا عنها وعن حياة عمر الخيام في مجلة كلكتا سنة ١٨٥٨م. ثم كتب بعد ذلك إلى صديقه الشاعر «فتزجرالد» وعرض عليه النسخة فدرسها وأخرج أول ترجمة لها سنة ١٨٥٩م ولم تكن تحوى إلا خمسًا وسبعين رباعية.

ولم تجد هذه الرباعيات المترجمة إلى الإنكليزية قراء أول الأمر وإن كان ثمنها قد هبط إلى بنس واحد.. ولم يذع لها خبر حتى وقع عليها الشاعر «روزتى» فنوّه بذكرها ووجدت من يقبل عليها من رجال الأدب.

وفي سنة ١٨٦٧ أخرج المسيو «نيقولا» ترجمان السفارة الفرنسية في فارس ترجمة نثرية للرباعيات بها أربع وستون وأربعمائة رباعية نقلها عن نسخة طهران المطبوعة على الحجر سنة ١٨٦١م.

وشجع ذلك «فتزجرالد» فأخرج سنة ١٨٦٨م طبعة ثانية للرباعيات، أودعها مائة رباعية ورباعية، ثم بدأت تظهر قيمة هذه الرباعيات حتى وصل ثمن النسخة من ترجمة فتزجرالد في الطبعة الثالثة إلى سبع شلنات ونصف شلن، ووصل ثمن بعض أعداد الطبعة الأولى إلى ستين جنيهًا إنكليزيًا.

وأخرج الأديب ونفيلد سنة ١٨٨٣ ترجمة إنكليزية لثمان وخمسمائة رباعية جمعها من نسخ عدة. ونشر البحاثة الإنكليزى «هيرون ألين» صورة شمسية لمخطوط بودليان وترجم ما فيه فى كتاب طبعه سنة ١٨٩٨م.. وظل اسم الرباعيات ينتشر بعد ذلك حتى أقبل عليها المترجمون إلى أشهر اللغات وذاع اسمها، وتأسس ناد باسم الخيام فى لندن سنة ١٨٩٢م. وكان من مآثره الأولى زيارة قبر «فتزجرالد» ومناشدة «شاه العجم» فى ذلك الوقت لترميم قبر الخيام فى نيسابور وتعهد الأزهار المغروسة حوله .

وفى سنة ١٩٢١م وجد الدكتور «روزن» فى برلين نسخة قديمة للرباعيات بها تسع وعشرون وثلاثمائة رباعية، تاريخها سنة ٧٢١ هـ. ولكن الخط والورق يدلان على حداثتها عن ذلك العهد. والمظنون أنها نسخة طبق الأصل من نسخة ضائعة كتبت سنة ٧٢١ هـ، وعند نشر الدكتور روزن لهذه النسخة سنة ١٩٢٢ وصله من ميرزا محمد قزوينى أمين المخطوطات الفارسية بالمكتبة الأهلية بباريس صورة من مجموعة بها ثلاث عشرة رباعية، وجدت بين مجموعات أخرى فى كتاب جامع اسمه «مؤنس الأحرار» تاريخه سنة ٧٤١ هـ. وعلى هذا تكون هذه المجموعة الصغيرة أقدم طائفة للرباعيات؛ لأنها تسبق نسخة بودليان المخطوطة سنة ٨٦٥ هـ. بثلاث وعشرين ومائة سنة.

وفى سنة ١٩٣٠ اكتشف أول مخطوط مصوّر لرباعيات الخيام بخط أحد سكان مدينة مشهد سنة ٩١١ هـ. وأول من تنبه إليه الأستاذ

«نجيب أشرف» فاشتراه وأهداه إلى مكتبة بتنا بالهند، وأوراق هذا المخطوط خالية من ذكر طريقة انتقاله من فارس إلى الهند. وفيه ست ومائتان رباعية مكتوبة بخط جميل، وبه من الصور البديعة ما يجعله طرفة فارسية نادرة.

على هذا يصح أن يقال إن أصدق مجموعة قائمة بذاتها للرباعيات هى نسخة بودليان؛ لأنها أقدم المجموعات عهدًا، وإن كانت مكتوبة بعد موت الخيام بخمسين وثلاثمائة سنة. غير أن هذه النسخة القديمة تحوى تسع عشرة رباعية لا يقطع بصحة نسبتها إلى الخيام.

وقد توفر الكثيرون على دراسة الرباعيات الحائرة وردّها إلى أصولها، ومن أشهر هؤلاء المستشرق الروسى «زوكفسكى» الذى وجد اثنتين وثمانين رباعية مدسوسة على الخيام، وردّ نسبتها إلى تسعة وثلاثين شاعرًا من شعراء الفرس، من أشهرهم عبد الله الأنصارى وابن أبى الخير والأنورى والعسجدى والعطار والفردوسى وجلال الدين رومى ونصر الدين الطوسى وحافظ الشيرازى.. وانقطع الأستاذ «كريستنسن» الدانيمركى إلى درس كل ما ورد من رباعيات الخيام فى مختلف النسخ بين مخطوط ومطبوع، فقابل بينها ثم أثبت فى كتابه ما ورد فى جميع هذه النسخ أو ورد فى أكثرها، فتمكن من جمع مائة وعشرين رباعية قطع بصحة نسبتها إلى الخيام. على أن كل الباحثين حاروا فى تحديد هذه الرباعيات، فإن عددها يتراوح بين ست وسبعين رباعية فى نسخة خطية بباريس، تاريخها سنة ٩٢٧ هـ. وبين ثمانمائة رباعية فى مخطوط بمكتبة جامعة كمبردج عليه اسم مالكه سنة ١١٩٥ هـ.

وإنا لنرانا أمام صعوبة شديدة فى اختيار الصادق من هذه الرباعيات؛ لأنها تتفق فى الأسلوب والصياغة والعروض. ويزيد هذه الصعوبة، أن كل رباعية قائمة بذاتها، وأنها لا يجمعها تسلسل فكرة أو اضطراد تصوير، وأن المعانى المودعة فيها كثيرة التكرار.. وأن الفرق طفيف بين اللغة الفارسية فى عهد الخيام وبينها بعد موته. ولسنا نعرف الكثير عن حياة الخيام أو نجد شيئًا من آثاره الأدبية الأخرى فنستدلّ به على فهم شخصيته أو نستعين به على تفسير ما غمض من الرباعيات.

على أنه قد اكتشف حديثًا فى مكتبة برلين كتاب نثر للخيام اسمه (نوروزنامه) ضمن مجموعة من ست كتب، وتاريخ هذه المجموعة سنة ٧٦٨ هـ، والفضل فى اكتشافها للأستاذ «ويل» مدير القسم الشرقى بمكتبة برلين، وكتاب الخيّام الوارد فى هذه المجموعة يقع فى أربع وخمسين صفحة، وفيه أبواب عن عيد النيروز وتاريخ فارس وعن الصيد والذهب والخمر والجمال.. والكتاب شيِّق فى لفظه.. لطيف فى أسلوبه.. ولكنه خال من عمق التفكير أو نزعة التشاؤم الشائعة فى رباعيات الخيام. وإنما يتحقق إسناد هذا الكتاب إلى عمر؛ لأن سائر الكتب الواردة فى تلك المجموعة لمؤلفين عاشوا فى عصر الخيام.. ويزيد هذا الظن تحقيقًا تشابه كثير من فقرات الكتاب لرباعياته، وخاصة عند ذكر الخمر وجمال الحبيب.

ولعل خير الطرق لتحديد الرباعيات الصادقة حذف كل ما نسب للشعراء الذين جاءوا بعد عمر، وقبول ما نقله المؤرخون المعاصرون له من شعره، وتحكيم الإحساس والذوق فى اختيار الصادق من كل

ما نسب إليه.. وتفهم روح الخيام في شِعره قياسًا على النزر القليل الذي تركه المؤرخون من ترجمة حياته.

لذلك، حار الأدباء في فهم الخيام. فمنهم من عدّه مستهترًا يهزأ من الأديان ولا يعتقد بالبعث، ومنهم من أنزله منزلة الصالحين وعدّه طاهر الذيل راسخ اليقين. على أن الخيام كان جبريًا يعتقد أن الإنسان تسيِّره قوة خفية لا يملك دفعها ولا تدع له فرصة الاختيار بين النافع والضار. وهو بالرغم مما يظهر في رباعياته من الشك في أمر الحياة والموت موحّد يؤمن بوجود إله خلق الكون وهيمن عليه. مؤدّ فريضة الحج، مواظب على الصلاة. ولذلك أدخل المتصوفة - وهم ألد أعدائه - بعض أشعاره في أورادهم واهتموا بدرسها. غير أن الكثيرين من بينهم لم ترقهم طائفة كبيرة من رباعياته، فناصبوه العداء وهدّدوه بالقتل، فهرب من وجوههم ولزم الصمت عهدًا طويلا وأقفل بابه في وجوه زوّاره وأضمر سرّه لا يظهر الناس عليه.

هذا هو الخيام الذي رماه الناس بالزندقة في عهده، والذي تقرن أشعاره اليوم بأشعار ابن أبي الخير والأنصاري والعطار، وهم من أطهر الشعراء صفحة.

بقي عليّ أن أسوق إلى القراء كلمة في ترجمتي هذه الرباعيات عن اللغة الفارسية: أوفدتني دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢ إلى باريس لدرس الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية، فقرأت أبوابًا عدة من الشاهنامه وجلستان وأنوار سهيلي المعروف بكتاب كليلة ودمنة. ووقعت لي نسخة رباعيات الخيام التي قام بنشرها سنة ١٨٦٧ المستشرق الفرنسي «نيقولا» عن نسخة طهران. فانقطعت لقراءتها

وتوفرت على درسها، حتى إذا انتهيت منها، دار بخلدى أن أنقلها عن الفارسية إلى الشعر العربى رباعيات كما نظمها الخيام، وشجعنى على ذلك افتقار اللغة العربية فى ذلك العهد إلى هذه الرباعيات منقولة عن اللغة الفارسية.

ونصبت نفسى لذلك، فراجعت نسخ الرباعيات الخطية المحفوظة فى دار الكتب الأهلية بباريس وسافرت فى مستهل سنة ١٩٢٣ إلى برلين فراجعت النسخ الخطية المحفوظة فى القسم الشرقى من مكتبتها الجامعية. وعدت إلى باريس فراجعت ما أودع فى مكتبتها - وأخصها مكتبة مدرسة اللغات الشرقية - من الصور الشمسية للمخطوطات المختلفة لهذه الرباعيات، وقرأت ما ورد عن الخيام فى أسفار هذه المكتبات. وفى ربيع سنة ١٩٢٤ سافرت إلى لندن فراجعت مخطوطات هذه الرباعيات فى المتحف البريطانى وقرأت الكتب التى تناولت الخيام من بين مجلداته، وانطلقت إلى كمبردج فراجعت مخطوطات جامعتها وقابلت المرحوم الأستاذ «براوى» الذى وقف عمره على دراسة الآداب الفارسية وأنست إلى رأيه. ثم عدت إلى باريس وانقطعت لإتمام ترجمتى لهذه الرباعيات، حتى إذا انتهيت من دراستى ونلت دبلوم مدرسة اللغات الشرقية فى اللغة الفارسية رجعت إلى مصر وأخرجت الطبعة الأولى من ترجمتى للرباعيات فى صيف سنة ١٩٢٤.

ودارت الأيام واكتشفت مخطوطات جديدة لرباعيات الخيام، وظهرت كتب جديدة عن عمر الخيام، فزدت علمًا بالرجل وزدت تعلقًا به وتفهمًا لروحه، ووجدت فى دار الكتب المصرية من الكتب الفارسية والعربية التى تناولت ذكره ما لم أوفق إلى إيجاده أيام كنت فى أوربا،

فراجعت ما ترجمت له من الرباعيات فى الطبعة الأولى وزدت شيئًا غير يسير مما وقع لى منها وكان جديدًا علىّ، ثم وضعت مقدمة أغزر مادة وأكثر إيضاحًا وأدقّ تحليلا، وأخرجت طبعة ثانية فى ربيع سنة ١٩٣١ أضفت إليها ما لم أكن أعرف عن حياة الخيام أو رباعياته، واخترت من كل ما نسب إليه ما تحقق لى مصدره ووضح خبره.. وأثبتّ له ما شاق نفسى ولمس حسى وتبينت فيه عمق تفكيره وطلاوة أسلوبه وسمعت منه نجوى خاطره.

ثم دارت الأيام، وما زالت هذه الرباعيات ترنيم روحى أرددها خاليًا بالليل أو سامرًا بالنهار، فهفت نفسى إلى إخراج طبعة جديدة أبعث فيها نفحات الخيام إلى عشاق تلك الروح السارية عبر السنين.

وإنما بدأت ترجمة هذه الرباعيات فى باريس ١٩٢٣ بعد أن وصلنى نعى أخى الشقيق الذى مات ودفن فى دار غربة أحسست آلامها وأنا نازح الدار.. فاستمددت من حزنى عليه قوة على تصوير آلام الخيام، وظهر لعينى بطلان الحياة التى نعى عليها فى رباعياته، فحسبتنى وأنا أترجمها أنظم رباعيات جديدة أودعها حزنى على أخى الراحل فى نضرة الشباب وأصبر نفسى بقرضها على فقده.

وإنى لأهديها من ذلك الثاوى بنيسابور بين ملتفّ الغياض ويانع الرياض.. إلى ذلك الراقد بحلفا بين شاطئ النيل وباسقات النخيل.

أحمد رامى

القاهرة فى مارس سنة ١٩٥٠

رباعيات الخيام

سمعت صوتًا هاتفًا فى السحر

نادى من الحان : غفاة البشر

هبّوا املأوا كاس الطلى قبل أن

تفعم كاس العمر كفّ القدر

❊ ❊ ❊

أحسّ فى نفسى دبيب الفناء

ولم أصب فى العيش إلا الشقاء

يا حسرتا إن حان حينى ولم

يتح لفكرى حل لغز القضاء

❊ ❊ ❊

أفق وهات الكاس أنعم بها

واكشف خفايا النفس من حجبها

وروِ أوصالى بها قبلما

يصاغ دن الخمر من تربها

❊ ❊ ❊

تـروحِ أيـامـى ولا تـغـتـدى
كـمـا تـهـبّ الريح فى الفـدفـد
ومـا طويت الـنفس همّـا على
يومين : أمس المنقضى والغد

❋ ❋ ❋

غـد بظهر الغـيب واليوم لى
وكم يخيب الظنّ فى المقبل
ولست بالغافل حتى أرى
جمال دنياى ولا أجتلى

❋ ❋ ❋

سمعت فى حلمى صوتًا أهاب
ما فتّق النوم كمام الشباب
أفق فإن النوم صنو الردى
واشرب فمثواك فراش التراب

❋ ❋ ❋

قد مزّق البدر ستار الظلام
فاغنم صفا الوقت وهات المدام
واطرب فإن البدر من بعدنا
ينزى علينا فى طباق الرغام

❋ ❋ ❋

سـأنتـحى الموت حـشـيث الورود
وينمـحى اسـمى من سـجل الوجـود
هات اسـقنيـهـا يا منى خـاطرى
فـغـاية الأيام طول الهـجـود

❊ ❊ ❊

هات اسـقنيـهـا أيهـذا النديم
أخـضب من الوجـه اصـفرار الهـموم
وإن أمت فـاجـعل غـسـولى الطلى
وقـدّ نعـشـى من فـروع الكروم

❊ ❊ ❊

إن تقـتلع من أصلهـا سـرحـتى
وتصـبح الأغـصـان قـد جـفت
فـصغ وعـاء الخـمـر من طينتى
وامـلأه تسـر الروح فى جـثـتى

❊ ❊ ❊

لبـست ثوب العـيش لم أسـتـشـر
وحـرت فـيـه بين شـتى الفكـر
وسـوف أنضـو الثـوب عنى ولم
أدرك لماذا جـئـت . أين المقـر

❊ ❊ ❊

نمضي وتبقى العيشة الراضية
وتنمحي آثارنا الماضية
فقبل أن نحيا ومن بعدنا
وهذه الدنيا على ما هيه

❉ ❉ ❉

طوت يد الأقدار سفر الشباب
وصوَّحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبى واختفى
متى أتى. يا لهفا. أين غاب

❉ ❉ ❉

الدهر لا يعطى الذى نأمل
وفى سبيل اليأس ما نعمل
ونحن فى الدنيا على همها
يسوقنا حادى الردى المعجل

❉ ❉ ❉

أفق خفيف الظل هذا السحر
وهاتها صرفًا وناغ الوتر
فما أطال النوم عمراً ولا
قصَّر في الأعمار طول السهر

❉ ❉ ❉

اشرب فمثواك التراب المهيل
بلا حبيب مؤنس أو خليل
وانشق عبير العيش فى فجره
فليس يزهو الورد بعد الذبول

❋ ❋ ❋

كم آلم الدهر فؤاداً طعين
وأسلم الروح ظعين حزين
وليس ممن فاتنا عائد
أسأله عن حالة الراحلين

❋ ❋ ❋

يا دهر أكثرت البلى والخراب
وسمت كل الناس سوء العذاب
ويا ثرى كم فيك من جوهر
يبين لو ينبش هذا التراب

❋ ❋ ❋

وكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالأنجم هذا المدار
فامش الهوينا إن هذا الثرى
من أعين ساحرة الاحورار

❋ ❋ ❋

أين النديم السمح أين الصبوح
فقد أمضّ الهمُّ قلبى الجريح
ثلاثة هنّ أحب المنى:
كاس، وأنغام، ووجه صبيح

❄ ❄ ❄

نفوسنا ترضى احتكام الشراب
أرواحنا تفدى الثنايا العذاب
وروح هذا الدنّ نستلّه
ونستقيه سائغًا مستطاب

❄ ❄ ❄

يا نفس ما هذا الأسى والكدر
قد وقع الإثم وضاع الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذى
أذنب والله عفا واغتفر

❄ ❄ ❄

نلبس بين الناس ثوب الرياء
ونحن فى قبضة كفّ القضاء
وكم سعينا نرتجى مهربًا
فكان مسعانا جميعًا هباء

❄ ❄ ❄

لم تفـــتح الأنفس باب الغـــيـــوب
حـــتى ترى كــيف تســـام القلوب
مـــا أتعس القلب الذى لم يكد
يلتــــام حـــتى أنكأته الخطوب

❋ ❋ ❋

عــامل كــأهليك الغــريب الوفى
واقــطــع مــن الأهــل الــذى لا يــفــى
وعف زلالاً ليس فـــيـــه الشـــفـــا
واشــرب زعــاف السمِّ لو تشــتــفى

❋ ❋ ❋

أحـــسن إلى الأعـــداء والأصـــدقـــاء
فـــإنما أنس القلوب الصـــفـــاء
واغـــفـــر لأصـــحـــابك زلاتهم
وســـامح الأعـــداء تمح العـــداء

❋ ❋ ❋

عــاشـــر من الناس كــبــار العــقــول
وجــانب الجــهــال أهل الفــضــول
واشــــرب نقـــيع السمّ من عـــاقل
واسكب على الأرض دواء الجـــهـــول

❋ ❋ ❋

يا تارك الخمر لماذا تلوم
دعنى إلى ربى الغفور الرحيم
ولا تفاخرنى بهجر الطلى
فأنت جان فى سواها أثيم

❋ ❋ ❋

أطفئ لظى القلب ببرد الشراب
فإنما الأيام مثل السحاب
وعيشنا طيف خيال فنل
حظك منه قبل فوت الشباب

❋ ❋ ❋

بستان أيامك نامى الشجر
فكيف لا نقطف غض الثمر
اشرب فهذا اليوم إن أدبرت
به الليالى لم يعده القدر

❋ ❋ ❋

جادت بساط الروض كفُّ السحاب
فنزّه الطرف وهات الشراب
فهذه الخضرة من بعدنا
تنمو على أجسادنا فى التراب

❋ ❋ ❋

وإن تواف العشب عند الغدير
وقد كسا الأرض بساطًا نضير
فامش الهوينا فوقه إنه
غذّته أوصال حبيب طرير

❋ ❋ ❋

يا نفس قد آدك حمل الحزن
يا روح مقدور فراق البدن
اقطف أزاهير المنى قبل أن
يجف من عيشك غضّ الفنن

❋ ❋ ❋

يحلو ارتشاف الخمر عند الربيع
ونشر أزهار الروابى يضوع
وتعذب الشكوى إلى فاتن
على شفا الوادى الخصيب الينيع

❋ ❋ ❋

فلا تتب عن حسو هذا الشراب
فإنما تندم بعد المتاب
وكيف تصحو وطيور الربى
صدّاحة والروض غضٌّ الجناب

❋ ❋ ❋

زخارف الدنيا أساس الألم

وطالب الدنيا نديم الندم

فكن خليّ البال من أمرها

فكل ما فيها شقاء وهم

❋ ❋ ❋

وأسعد الخلق قليل الفضول

من يهجر الناس ويرضى القليل

كأنه عنقاء عند السهى

لا بومة تنعب بين الطلول

❋ ❋ ❋

من يحسب المال أحب المنى

ويذرع الأرض يريد الغنى

يفارق الدنيا ولم يختبر

فى كدّه أحوال هذى الدنى

❋ ❋ ❋

سرى بجسمى الغضّ ماء الفناء

وسار فى روحى لهيب الشقاء

وهمت مثل الريح حتى ذرت

تراب جسمى عاصفات القضاء

❋ ❋ ❋

يا من يحار الفهم في قدرتك
وتطلب النفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم ولكنني
صحوت بالآمال في رحمتك

❋ ❋ ❋

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب
ولا دعتني قلة في الأدب
لكن إحساسي نزاعًا إلى
إطلاق نفسي كان كل السبب

❋ ❋ ❋

أفنيت عمري في اكتناه القضاء
وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى
عمري وأحسست دبيب الفناء

❋ ❋ ❋

أطال أهل الأنفس الباصره
تفكيرهم في ذاتك القادره
ولم تزل يا رب أفهامهم
حيرى كهذي الأنجم الحائره

❋ ❋ ❋

لم يجن شيئًا من حياتى الوجود
ولن يضير الكون أنى أبيد
واحيرتى ما قال لى قائل:
ماذا اشتعال الروح.. كيف الخمود

❋ ❋ ❋

إذا انطوى عيشى وحان الأجل
وسدّ فى وجهى باب الأمل
قرّ حباب العمر فى كاسه
فصبًّها للموت ساقى الأزل

❋ ❋ ❋

إن لم أكن أخلصت فى طاعتك
فإننى أطمع فى رحمتك
وإنما يشفع لى أننى
قد عشت لا أشرك فى وحدتك

❋ ❋ ❋

يا رب هيئ سبب الرزق لى
ولا تذقنى منّة المفضل
وأبقنى نشوان كما أرى
روحى نجت من دائها المعضل

❋ ❋ ❋

أفنيت عـــمـــرى فى ارتقــاب المنى
ولـم أذق فى الـعـــيش طعم الـهنـا
وإنـنى أشـــفـق أن يـنـقـــضى
عـــمـــرى ومـــا فـــارقت هذا العنا

❋ ❋ ❋

لم يبـــرح الـداء فـــؤادى العليـل
ولم أنل قـصـدى وحـان الرحـيل
وفـــات عـــمـــرى وأنا جـــاهل
كـتــاب هذا الدهر جمّ الفـصــول

❋ ❋ ❋

صـــفـــا لك الـيـــوم ورقّ النسـيم
وجـــال فى الأزهار دمع الغـــيـــوم
ورجّـع الـبـلـبـل ألحـــــــانه
يقـــول هيّـــا اطرب وخلّ الهـــمـــوم

❋ ❋ ❋

الـدرع لا تمـنـع ســـــهـم الأجـل
والمـال لا يـدفـــعـــه إن نـزل
وكـل مـــا فى عـــيـــشنـا زائل
لا شىء يبـــقى غـيـــر طيب العـــمـل

❋ ❋ ❋

اللـه يدرى كـل مــــا تضـــــمـــــر
يعلم مـــا تـخـــفى ومـــا تظهـــر
وإن خـــــدعت الـنـاس لم تـســـتطع
خـــــداع من يطوى ومـن ينشــــر

❋ ❋ ❋

وإنمـــا بـــالمـــوت كـــل رهـــيـــن
فـــاطرب فـــمـــا أنت من الخـــالدين
واشــــرب ولا تحـــمل أسى فـــادحًـــا
وخل حـــمـل الـهم للاحـــقـــيـن

❋ ❋ ❋

رأيـت خـــــزّافًـــــا رحــــاه تـدور
يجـــد فى صـــوغ دنان الخـــمـــور
كـــــأنه يـخـلـط فى طـيـنهـــــا
جـمـجـمـة الشـاه بسـاق الفـقـيـر

❋ ❋ ❋

تملّك الـنـاس الـهــــوى والـغــــرور
وفـتـنـة الغـــيـــد وسكنى القـــصـــور
ولـو تـزال الحـــــجب بـانـت لـهم
زخـــارف الدنيـــا وعـــقـــبى الأمـــور

❋ ❋ ❋

إن الذى تأنس فــيــه الوفــاء

لا يحــفظ الودّ وعــهــد الإخــاء

فــعــاشــر الناس على ريبــة

منهم ولا تكثــر من الأصــدقــاء

❊ ❊ ❊

زاد الندى فى الزهر حــتى غــدا

منحنيًــا من حــمل قطرالندى

والكمّ قــد جــمع أوراقــه

فظلّ فى زهر الربى ســيّــدا

❊ ❊ ❊

وأســعــد الخلق الذى يرزق

وبابه دون الورى مــغــلق

لا ســيّــد فــيــهم ولا خــادم

لــهــم ولــكــن وادع مــطــلــق

❊ ❊ ❊

قلبى فى صــدرى أسيــر سـجـين

تخــجله عــشــرة مــاء وطين

وكم جـرى عـزمى بتــحطيــمه

فكان ينهــانى نداء اليــقــين

❊ ❊ ❊

مصباح قلبي يستمد الضياء
من طلعة الغيد ذوات البهاء
لكنني مثل الفراش الذي
يسعى إلى النور وفيه الفناء

❊ ❊ ❊

طبعي ائتناسي بالوجوه الحسان
وديدني شرب عتاق الدنان
فاجمع شتات الحظ وانعم بها
من قبل أن تطويك كفّ الزمان

❊ ❊ ❊

تعاقب الأيام يدني الأجل
ومرّها يطويك طي السجل
وسوف تفنى وهي في كرّها
فقض ما يغنمه في جذل

❊ ❊ ❊

لا تشغل البال بماضي الزمان
ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذّاته
فليس في طبع الليالي الأمان

❊ ❊ ❊

قيل لدى الحشر يكون الحساب
فيغضب الله الشديد العقاب
وما انطوى الرحمن إلا على
إنالة الخير ومنح الثواب

❋ ❋ ❋

كان الذى صوّرنى يعلم
فى الغيب ما أجنى وما آثم
فكيف يجزينى على أننى
أجرمت والجرم قضًا مبرم

❋ ❋ ❋

هات اسقنى كاس الطلى السلسل
وغنّنى لحنًا مع البلبل
فإنما الإبريق فى صبِّه
يحكى خرير الماء فى الجدول

❋ ❋ ❋

الخمر فى الكاس خيال ظريف
وهى بجوف الدنّ روح لطيف
أبعد ثقيل الظلّ عن مجلسى
فإنما للخمر ظلّ خفيف

❋ ❋ ❋

بـات نـديـمـى ذو الثـنـايـا الـوضـــــاح
وبـــيـــنـــنـــا زهـــر أنـــيـــق وراح
وافـــتـضّ من لؤلؤ أصـــدافــهـــا
فـــافـــتـــرّ فى الآفـــاق ثغــر الـصـــبـــاح

❄ ❄ ❄

نـار الـهــــــوى تمـنـع طـيـب المـنـام
وراحــــــة الـنـفـس ولـذ الـطـعــــام
وفــــاتـر الحب ضــــعــــيـف الـلـظـى
منطفئ الشـــعـلـة خـــابـى الـضــــرام

❄ ❄ ❄

القلب قـــد أضناه عـــشق الجـــمـــال
والـصـــدر قـــد ضـــاق بما لا يـقـــال
يا رب هـل يـرضــــيـك هـذا الـظـمــــا
والماء يـنـســــــاب أمــــــامـى زلال

❄ ❄ ❄

خـلـقــــتـنـى يـا رب مــــــاء وطـيـن
وصـــغـــتـنـى مـــا شـــئـت عـــزًّا وهـون
فــمـــا احـــتـــيـــالى والذى قـــد جـــرى
كـــتـــبـــتـــه يا رب فـــوق الجـــبـــين

❄ ❄ ❄

ويا فـــؤادى تلك دنيـــا الخـــيـــال

فـــلا تنؤ تحت الـهـــمـــوم الثـــقـــال

وسلم الأمـــر فـــمـــحـــو الذى

خطت يد المقـــدار أمـــر مـــحـــال

❋ ❋ ❋

وإنما نـحن رخـــاخ الـقـــضـــاء

ينـقـلـنـا فى الـلـوح أنـى يـشـــاء

وكـل مـن يـفـــرغ مـن دوره

يلقى به فى مـــســتـــقـــر الفـنـاء

❋ ❋ ❋

رأيت صـــفّـــا من دنان ســـرى

مـــا بينهـــا همس حـديث جـــرى

كـــأنهـــا تـســـأل : أين الـذى

قـــد صـــاغنا أو باعنـا أو شـــرى

❋ ❋ ❋

سطا البلى فـاغـتـال أهل القـبـــور

حـتى غـدوا فـيـهـا رفـاتًا نـثـيـر

أين الـطلى تتـــركنى غـــائبًـــا

أجـهل أمـر العـيش حـتى النشـور

❋ ❋ ❋

إذا سقانى الموت كأس الحمام
وضمكم بعدى مجال المدام
فأفردوا لى موضعى واشربوا
فى ذكر من أضحى رهين الرجام

❊ ❊ ❊

عن وجنة الأزهار شفّ النقاب
وفى فؤادى راحة للشراب
فلا تنم فالشمس لمّا يزل
ضياؤها فوق الربى والهضاب

❊ ❊ ❊

فكم على ظهر الثرى من نيام
وكم من الثاوين تحت الرغام
وأينما أرمى بعينى أرى
مشيَّعًا أو نهزة للحمام

❊ ❊ ❊

يا رب فى فهمك حار البشر
وقصَّر العاجز والمقتدر
تبعث نجواك وتبدو لهم
وهم بلا سمع يعى أو بصر

❊ ❊ ❊

بيني وبين النفس حرب سجال

وأنت يا ربى شديد المحال

أنتظر العفو ولكننى

خجلان من علمك سوء الفعال

❋ ❋ ❋

شقّت يد الفجر ستار الظلام

فانهض وناولنى صبوح المدام

فكم تحيينا له طلعة

ونحن لا نملك ردَّ السلام

❋ ❋ ❋

معاقرو الكأس وهم سادرون

وقائمو الليل وهم ساجدون

غرقى حيارى فى بحار النهى

والله صاح والورى غافلون

❋ ❋ ❋

كنا فصرنا قطرة فى عباب

عشنا وعدنا ذرّة فى التراب

جئنا إلى الأرض ورحنا كما

دبَّ عليها النمل حينًا وغاب

❋ ❋ ❋

لا أفـــضح الســـر لعــــالٍ ودون
ولا أطيل القـــول حـــتي يبــــين
حـــالى لا أقـــوى على شـــرحــهـــا
وفى حنا الصـــدر ســـرٌى دفـــين

❋ ❋ ❋

أولى بهـــذى الأعـــين الهـــاجـــده
أن تغــتـــذى فى أنســـهـــا ســـاهده
تنفس الصـــبح فـــقم قـــبل أن
تحـــرمـــه أنفـــاسنا الهـــامـــده

❋ ❋ ❋

هل فى مـــجـــالى الكون شىء بديع
أحـــلـــى مـــن الـــكـــاس وزهـــر الـــربـــيـــع
عـــجـــبت للخـــمّـــار هل يشـــتـــرى
بمالـه أحـــــســـــن مما يـبـــــيـــــع

❋ ❋ ❋

هوى فـــؤادى فى الطلى والحـــبـــاب
وشـــجـــو أذنى فى ســـمـــاع الرباب
إن يـصـــغ الخــــــزاف مـن طـيـنـتـى
كـــوبًا فـــاترعـــهـــا ببـــرد الشـــراب

❋ ❋ ❋

يا مــــدعـى الزهـد أنـا أكـــــرم
منـك وعــــقـلى ثـمــــلا أحكـم
تســتـنزف الخلق ومـــا أســتـــقى
إلا دم الـكــرم فـــــــمن آثـم

❊ ❊ ❊

الخــمــر كــالورد وكــاس الشــراب
شــفّت فكـانـت مــثـل ورد مــذاب
كــــأنمـا البـــدر ثـنـا ضـــوءه
فكـان حــول الشــمس منه نقــاب

❊ ❊ ❊

لا تحـــســبــوا أنـى أخــاف الزمـــان
أو أرهـب المـوت إذا المـوت حــــــان
المـوت حق. لـسـت أخـــشى الـردى
وإنمـا أخـــــشى فــــوات الأوان

❊ ❊ ❊

لا طـيب فـى الدنـيـا بغـيــر الشــراب
ولا شـــجى فــيـهـا بغــيـر الربـاب
فكـرت فـى أحـــوالـهـــا لم أجـــد
أمـتـع فـيـهـا من لقــاء الصـحــاب

❊ ❊ ❊

عش راضـيًـا واهجـر دواعى الألم
واعـدل مع الظالم مـهـمـا ظلم
نهـايـة الدنيـا فناء فـعـش
فـيـهـا طليـقـًا واعـتـبـرها عـدم

❋ ❋ ❋

لا تـأمل الخل المقـيم الوفـاء
فـإنما أنت بـدنيـا الـريـاء
تحـمَّل الـداء ولا تـلـتـمـس
له دواء وانـفـرد بـالـشـقـاء

❋ ❋ ❋

اليـوم قـد طاب زمـان الـشـبـاب
وطـابـت الـنـفـس ولـذ الـشـراب
فـلا تـقـل كـاس الـطـلـى مـرة
فـإنما فـيـهـا من الـعـيـش صـاب

❋ ❋ ❋

وليـس هـذا الـعـيـش خلداً مـقـيـم
فـمـا اهـتـمـامى مـحـدث أم قـديم
سنـتـرك الدنيـا فـمـا بـالـنـا
نـضـيـع منـهـا لحظات النـعـيـم

❋ ❋ ❋

حتّام يغري النفس برق الرجاء
ويفزع الخاطر طيف الشقاء
هات اسقينها لست أدرى إذا
صعّدت أنفاسى رددت الهواء

❋ ❋ ❋

دنياك ساعات سراع الزوال
وإنما العقبى خلود المآل
فهل تبيع الخلد يا غافلا
وتشترى دنيا المنى والضلال

❋ ❋ ❋

يا من نسيت النار يوم الحساب
وعفت أن تشرب ماء المتاب
أخاف إن هبّت رياح الردى
عليك أن يأنف منك التراب

❋ ❋ ❋

يا قلب كم تشقى بهذا الوجود
وكلّ يوم لك همّ جديد
وأنت يا روحى ماذا جنت
نفسى وأخراك رحيل بعيد

❋ ❋ ❋

تناثرت أيام هذا العمر
تناثر الأوراق حول الشجر
فانعم من الدنيا بلذّاتها
من قبل أن تسفيك كف القدر

❋ ❋ ❋

لا توحش النفس بخوف الظنون
واغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى في الثرى راحل
غداً وماضٍ من ألوف السنين

❋ ❋ ❋

مررت بالخزّاف في ضحوة
يصوغ كوب الخمر من طينة
أوسعها دعّا فقالت له
هل أقفرت نفسك من رحمة

❋ ❋ ❋

لو أنني خيِّرت أو كان لي
مفتاح باب القدر المقفل
لاخترت عن دنيا الأسى أنني
لم أهبط الدنيا ولم أرحل

❋ ❋ ❋

هبطت هذا العيش في الآخرين
وعشت فيه عيشة الخاملين
ولا يوافيني بما أبتغي
فأين مني عاصفات المنون

❄ ❄ ❄

حكمك يا أقدار عين الضلال
فأطلقيني آد نفسي العقال
إن تقصري النعمى على جاهل
فلست من أهل الحجا والكمال

❄ ❄ ❄

إذا سقاك الدهر كاس العذاب
فلا تُبن الناس وقع المصاب
واشرب على الأوتار رنّانة
من قبل أن تحطم كاس الشراب

❄ ❄ ❄

لا بد للعاشق من نشوة
أو خفة في الطبع أو جنة
والصحو باب الحزن فاشرب تكن
عن حالة الأيام في غفلة

❄ ❄ ❄

أنا الذى عشت صريع العقار
في مجلس تحييه كأس تدار
فعدٌ عن نصحي لقد أصبحت
هذى الطلى كل المنى والخيار

❊ ❊ ❊

أعلم من أمرى الذى قد ظهر
وأستشفّ الباطن المستتر
عدمت فهمي إن تكن نشوتى
وراءها منزلة تنتظر

❊ ❊ ❊

طارت بى الخمر إلى منزل
فوق السماك الشاهق الأعزل
فأصبحت روحى في نجوة
من طين هذا الجسد الأرذل

❊ ❊ ❊

سئمت يا ربى حياة الألم
وزاد همى الفقر لما ألمّ
ربى انتشلنى من وجودى فقد
جعلت في الدنيا وجودى عدم

❊ ❊ ❊

لم يخل قلبى من دواعى الهـــمـــوم
أو تـرض نـفـــسى عن وجـــودى الألـيـم
وكـم تـأدبـت بـأحــــــــــداثـه
ولـم أزل فى لـيـل جــــهـل بـهـــيـم

❋ ❋ ❋

الله قـــد قـــدر رزق العـــبـــاد
فــــــلا تـؤمـل نـيـل كـل المـراد
ولا تـذق نـفـــســك مــــرّ الأسـى
فــإنما أعــــمـــارنا للـنـفـــاد

❋ ❋ ❋

إن الـذى يعـــرف ســــر القـــضـــاء
يـرى ســـواء ســـعـــده والشـــقـــاء
العــــيش فـــانٍ فـلـنـدع أمـــره
أكـــــان داء مــــــسّـنـا أم دواء

❋ ❋ ❋

يا طـالـب الدنـيـــا وقـــيـت العـــثـــار
دع أمـل الـربـح وخـــوف الخـــســـار
واشـــرب عــتـيـق الخـمــر فـهى الـتى
تفكّ عن نفـــسـك قـــيـــد الإســـار

❋ ❋ ❋

الكأس جسم روحه السارية
هذى السلاف المزة الصافيه
زجاجها قد شفّ حتى غدا
ماء حوى نيرانها الجاريه

❋ ❋ ❋

قد ردّد الروض غناء الهزار
وارتاحت النفس لكأس العقار
تبسم النور فقم هاتها
نثأر من الأيام قبل الدمار

❋ ❋ ❋

بى من جفاء الدهر همّ طويل
ومن شقاء العيش حزن دخيل
قلبى كدنّ الخمر يجرى دمًا
ومقلتى بالدمع كأس تسيل

❋ ❋ ❋

وكلما راقبت حال الزمن
رأيته يحرم أهل الفطن
سبحان ربى كلما لاح لى
نجم طوته ظلمات المحن

❋ ❋ ❋

مــــاذا جنينا من مــــتــــاع البــقــــاء
مــــاذا لقــينا فى ســـبـــيل الفناء
هل تبــصـــر العــين دخــان الألى
صــــاروا رمــــاداً فى أتون القــضــــاء

❋ ❋ ❋

تلك القــصــور الشــاهقــات البناء
منازل العـــزّ ومـــجلى السناء
قـــد نعب البــوم على رســمــهــا
يصـــيح : أين المجـــد ، أين الثـــراء

❋ ❋ ❋

هوّن على النفس احــتــمــال الهــمــوم
واغنم صـــفـــا العــيش الذى لا يدوم
لو كـــانت الدنيـــا وفت للألى
راحـــوا لما جـــاءك دور النعـــيم

❋ ❋ ❋

وإنما الدهــر مـــــذيق الكــروب
نعـــيـــمـــه رهن بكفّ الخطوب
ولــو درى الــهــم الــذى لــم يــجــئ
دنيـــا الأسى لاخـــتـــار دار الغـــيـــوب

❋ ❋ ❋

صـــــبت علـينـا وابـلات البــــــلاء
كـــأننـا أعـــــداء هـذا القـــضـــاء
بـيـنـا تـرى الإبـريـق والـكـأس قـــــد
تبـــادلا التـــقـــبـــيل حـــول الدمـــاء

❀ ❀ ❀

تـفـــــــــــتّـح الـنّـوار صــبّ المدام
واخـلـع ثـيـــــاب الـزهـد بـيـن الأنـام
وهـاتـهـــــا من قـــبـل سطـو الـردى
فـى مـــجـلس ضـمّ الـطلى والـغـــرام

❀ ❀ ❀

حــــار الورى مـــا بـين كــــفـــر ودين
وأمـــعـنوا فى الـشك أو فى الـيـــقـــين
وســـــوف يـدعـــــوهـم مـنـادى الـردى
يقـــــول لـيـس الحق مــــا تسـلـكون

❀ ❀ ❀

نـصـــبت فى الـدنيــا شـــراك الـهـــوى
وقـت أجـــــزى كـل قـلـب غــــــوى
أتـنـصـب الـفـخ لـصـــــيـــــدى وإن
وقـــعـت فـــيـــه قـلـت عـــاص هـوى

❀ ❀ ❀

أنا الذى أبدعت من قدرتك
فعشت أرعى فى حمى نعمتك
دعنى إلى الآثام حتى أرى
كيف يذوب الإثم فى رحمتك

❋ ❋ ❋

إن تفصل القطرة من بحرها
ففى مداه منتهى أمرها
تقاربت يا رب ما بيننا
مسافة البعد على قدرها

❋ ❋ ❋

وإنما الدنيا خيال يزول
وأمرنا فيها حديث يطول
مشرقها بحر بعيد المدى
وفى مداه سيكون الأفول

❋ ❋ ❋

جهلت يا نفسى سر الوجود
وغبت فى غور القضاء البعيد
فصوّرى من نشوتى جنة
فربما أحرم دار الخلود

❋ ❋ ❋

يا ورد أشبهت خدود الحسان
ويا طلى حاكيت ذوب الجمان
وأنت يا حظّى تنكَّرت لى
وكنت من قبل الأخ المستعان

❋ ❋ ❋

أولى بك العشق وحسو الشراب
وحنَّة الناى ونوح الرباب
فأطلق النفس ولا تتصل
بزخرف الدنيا الوشيك الذهاب

❋ ❋ ❋

لا تشغل البال بأمر القدر
واسمع حديثى يا قصير النظر
تنح واجلس قانعًا وادعًا
وانظر إلى لعب القضا بالبشر

❋ ❋ ❋

يا قلب إن ألقيت ثوب العناء
غدوت روحًا طاهرًا فى السماء
مقامك العرش ترى حطَّة
أنك فى الأرض أطلت البقاء

❋ ❋ ❋

إن الـذى يـذبـل زهـر الـربـيـع

ينشـر أوراق وجـودى الجـمـيـع

والـهـمّ مـثـل السمّ تـريـاقـه

فى الخـمـر فـاشـرب قـدر مـا تـسـتـطـيع

***

زجـاجـة الخـمـر ونـصـف الـرغـيـف

ومـا حـوى ديـوان شـعـر طـريـف

أحب لـى إن كـنـت لـى مـؤنـسًـا

فـى بـلـقـع مـن كـل مـلـك مـنـيـف

***

أتـسـمـع الـديـك أطـال الـصـيـاح

وقـد بـدا فـى الأفـق نـور الـصـبـاح

مـا صـاح إلا نـادبًـا لـيـلـة

ولـت مـن الـعـمـر الـسـريـع الـرواح

***

عـلام تـشـقـى فـى سـبـيـل الألـم

مـا كـنـت تـدرى أنـك ابـن الـعـدم

الـدهـر لا تجـرى مـقـاديـره

بـأمـرنـا فـارض بمـا قـد حـكـم

***

تحـــمل الداء كـــبــيـــر الرجـــاء
أنك يومًـــا ســتنال الشــفـــاء
واشكر على الفـــقـــر الذى إن يرد
أصـــبــحت مــوفــور الغنى والثـراء

* * *

لـيـــتك يا ربى تـبــيـــد الوجـــود
وتـخلق الأكــوان خلـقًـــا جـــديد
فـــتـــغـــفـل اسـمي أو تـزيـد الـذى
قـــدرت لى فى الرزق بـين الـعـــبـــيـــد

* * *

وصـلـتـنى بـالـنـفـس مـنـذ الـقـــدم
فـكيف تـفـــرى شـــمـلنا الملتـــئم
وكـنـت تـرعـــانى فـــمـــاذا دعـــا
إلـــى اطّـــراحــى لــلأســى والألـــم

* * *

هـات الطلى فــالنفس عــمـــا قليل
توشك من فـــرط الأسى أن تـســـيل
عـــســـاى أنـسى الـهمّ في نـشــوتي
من بـعـد رشـفى كـاسـهـا السلسـبـيل

* * *

يا ساقى الخمر أفق هاتها

ثم اسقنى سائل ياقوتها

فإنها تبعث من روحها

نفسى وتحيى ميت لذاتها

❄ ❄ ❄

صبّ من الإبريق صافى الدماء

واشرب وهات الكأس ذات النقاء

فليس من بين الناس من ينطوى

على الذى فى صدرها من صفاء

❄ ❄ ❄

أين طهور النفس عف اليمين

وكيف كانت عيشة الصالحين

إن كنت لا تغفر ذنبى فما

فضلك يا ربى على العالمين

❄ ❄ ❄

أبدعت فينا بيِّنات العبر

وصغتنا يا رب شتى الصُّور

فهل أطيق اليوم محو الذى

تركته فى خلقتى من أثر

❄ ❄ ❄

طبـــائع الأنفس ركّـــبـــتــــهـــا
فكيف تجـزى أنفـــسًـا صــغـتـــهـــا
وكـــــيـف تفنى كــــامـــــلا أو ترى
نقـــصًــــا بنفس أنت صــــوّرتهـــا

❉ ❉ ❉

تـخـــــفـى عن الناس سنا طلـعـــتك
وكـل مـــا فى الكون مـن صنعـــتك
فــــــأنت مـــــجــــلاه وأنـت الذى
تـــرى بـــديـــع الـــصــــنــــع فــى آيـتــك

❉ ❉ ❉

يا رب مـــهـــد لى ســبــيـل الرشـــاد
واكـــتب لى الراحـــة بعـــد الجـــهـــاد
وأحى فى نـفــــسى المنى مـــثـلمــــا
يحـــيى مـوات الأرض صـوب العـهـاد

❉ ❉ ❉

لن يرجع المقـــدار فـــيـــمــــا حكم
وحـــــــــمـلك الـهـمّ يـزيـد الألـم
ولو حـــزنت العـــمـــر لن ينمـــحى
مــــا خطه فى اللوح مــــرّ القـلم

❉ ❉ ❉

ولّى الدجى قم هات كــاس الشـــراب
كــأنما اليــاقــوت فــيــهــا مــذاب
واحــرق من العــود بخــوراً وخـــذ
مـن غــــصـنـه المعـطار واصنع رباب

❋ ❋ ❋

الخـــــمــــر توليك نـعـــيم الخلود
ولـذة الـدنيــــا وأنـس الوجـــود
تحـــرق مـــثل النـار لكـنهـــا
تجــــعل نار الحـــزن مـــاء برود

❋ ❋ ❋

عــيشـى من غيــر الطلى مــســتــحيل
فـــإنهـــا تـشــفى فــؤادى العليل
مـــا أعـــذب الـســاقى إذا قـــال لى
تـنـاول الـكـأس ورأسـى يـمــــيـل

❋ ❋ ❋

أولى بـهـــذا القـلب أن يـخــفــقـــا
وفى ضـــرام الحب أن يـحـــرقـــا
مـــا أضــيع اليـــوم الذى مــرّ بى
من غــيــر أن أهوى وأن أعـــشــقـــا

❋ ❋ ❋

سـارع إلى اللذات قبل المنون
فالعمر يطويه مرور السنين
ولست كالأشجار إن قلِّمت
فروعها عادت رطاب الغصون

❋ ❋ ❋

إلى الألى ذاقوا حياة الرغد
وأنجز الدهر لهم ما وعد
قد عصف الموت بهم فانطووا
واحتضنوا تحت تراب الأبد

❋ ❋ ❋

نفسي خلت من أنس تلك الصحاب
لما غدوا ثاوين تحت التراب
في مجلس العمر شربنا الطلى
فلم يفق منا صريع الشراب

❋ ❋ ❋

ولست مهما عشت أخشى العدم
وإنما أخشى حياة الألم
أعارني الله حياتي ومن
حقوقه استرداد هذى النسم

❋ ❋ ❋

قالوا امتنع عن شرب بنت الكروم
فإنها تورث نار الجحيم
ولذتي في شربها ساعة
تعدل في عيني جنان النعيم

❋ ❋ ❋

إن دارت الكأس ولذّ الشراب
فكن رضيّ النفس بين الصحاب
واشرب فما يجديك هجر الطلى
إن كان مقدوراً عليك العذاب

❋ ❋ ❋

شيئان في الدنيا هما أفضل
في كل ما تنوى وما تعمل
لا تتّخذ كل الورى صاحبًا
ولا تنل من كل ما يؤكل

❋ ❋ ❋

لو كان لي قدرة رب مجيد
خلقت هذا الكون خلقًا جديد
يكون فيه غير دنيا الأسى
دنيا يعيش الحر فيها سعيد

❋ ❋ ❋

إذا بلغت المجد قالوا زنيم
وإن لزمت الدار قالوا لئيم
فجانب الناس ولا تلتمس
معرفة تورث حمل الهموم

❊ ❊ ❊

خير لي العشق وكأس المدام
من ادّعاء الزهد والاحتشام
لو كانت النار لمثلي خلت
جنات عدن من جميع الأنام

❊ ❊ ❊

عبدك عاص أين منك الرضا
وقلبه داجٍ فأين الضياء
إن كانت الجنة مقصورة
على المطيعين فأين العطاء

❊ ❊ ❊

أهل الحجا والفضل هدْى العقول
قد حاولوا فهم القضاء الجليل
فحدثونا بعض أوهامهم
ثم احتواهم ليل نوم طويل

❊ ❊ ❊

يا عـــالم الأســـرار علم اليـــقـــين
يـا كـــاشف الضـــرّ عن البـــائســـين
يا قـــابل الأعـــــذار فـــئنـا إلى
ظلّك فـــاقـــبل توبة التـــائبـــين

❊ ❊ ❊

مصادر الكتاب

(أ) مخطوطات الرباعيات

١ ـ نسخة بودليان بأكسفورد .... سنة ٨٦٥ هـ.

٢ ـ نسخة كوركيان بباريس .... سنة ٧٤١ هـ.

٣ ـ نسخة روزن ببرلين .... سنة ٧٢١ هـ.

٤ ـ نسخة المكتبة الأهلية بباريس .... سنة ٩٠٢ هـ.

٥ ـ نسخة المكتبة الأهلية بباريس .... سنة ٩٣٤ هـ.

٦ ـ نسخة المتحف البريطانى بلندن .... سنة ٩٧٧ هـ.

٧ ـ نسخة المتحف البريطانى بلندن .... سنة ١٠٣٣ هـ.

٨ ـ نسخة مكتبة برلين .... سنة ١٠٥٨ هـ.

٩ ـ نسخة جامعة كمبردج .... سنة ١١٩٥ هـ.

(ب) المراجع الشرقية

١ ـ النظامى السمرقندى ..... جهار مقاله سنة ٥٥٠ هـ.
طبع ليدن سنة ١٩٠٩

٢ ـ الشهرزورى .... نزهة الأرواح سنة ٥٨٦ هـ.
طبع بطرسبرج سنة ١٨٩٧

٣ ـ القفطى .... تاريخ الحكماء سنة ٧٢٤ هـ.
طبع ليبزج سنة ١٩٠٣

٤ ـ ابن الأثير .... الكامل فى التاريخ سنة ٦٢٨ هـ.
طبع ليدن سنة ١٨٦٤

٥ ـ زكريا قزوينى .... آثار البلاد سنة ٦٧٤ هـ.
طبع جوتنجن سنة ١٨٤٨

٦ ـ علاء الدين جوينى .... جهان كشاى سنة ٦٨٠ هـ.
طبع باريس سنة ١٨٨٥

٧ ـ رشيد الدين فضل الله .... جامعة التواريخ سنة ٧١٥ هـ.
طبع ليدن سنة ١٩١١

٨ ـ حمد الله قزوينى .... تاريخ كزيدة سنة ٧٣٠ هـ.
طبع ليدن سنة ١٩١٣

٩ ـ دولت شاه .... تذكرة الشعراء سنة ٨٩٢ هـ.

طبع ليدن سنة ١٩٠١

١٠ ـ خاوند شاه .... روضة الصفا سنة ٩٠٣ هـ.

طبع بومباى سنة ١٨٤٤

١١ ـ خاوند مير .... حبيب السير سنة ٩٢٧ هـ.

طبع باريس سنة ١٨٧٦

(جـ) المراجع الغربية

١ ـ ج. هامر .... تاريخ الطائفة الإسماعيلية.
باريس سنة ١٨٣٣

٢ ـ م. دفريمرى .... تاريخ السلاجقة.
باريس سنة ١٨٤٨

٣ ـ ف . ويك .... كتاب الجبر لعمر الخيام.
باريس سنة ١٨٥١

٤ ـ ج . تاسى .... الجريدة الأسيوية.
باريس سنة ١٨٥٧

٥ ـ م. كويل .... مجلة كلكتا.
لندن سنة ١٨٥٨

٦ ـ أ. فتزجرالد .... رباعيات الخيام.
لندن سنة ١٨٥٩

٧ ـ ج. نيقولا .... رباعيات الخيام.
باريس سنة ١٨٦٧

٨ ـ أ. ونفيلد .... رباعيات عمر الخيام.
لندن سنة ١٨٨٣

٩ ـ م. دار مستتر .... الشعر الفارسي.
باريس سنة ١٨٨٧

١٠ ـ د. روس .... مجلة الجمعية الأسيوية.
لندن سنة ١٨٩٨

١١ ـ ن. دول .... رباعيات عمر الخيام.
لندن سنة ١٨٩٨

١٢ ـ هـ. ألين .... رباعيات عمر الخيام.
لندن سنة ١٨٩٨

١٣ ـ هـ. بفردج............... مجلة الجمعية الأسيوية.
لندن سنة ١٨٩٩

١٤ ـ أ. براون .... مجلة الجمعية الأسيوية.
لندن سنة ١٨٩٩

١٥ ـ ج. مارتولد .... رباعيات عمر الخيام.
باريس سنة ١٩١٠

١٦ ـ أ. براون .... المقالات الأربع.
كمبردج سنة ١٩٢١

١٧ ـ أ. روتفلد .... عمر الخيام وعصره.
لندن سنة ١٩٢٢

١٨ ـ ك. هوار .... الجريدة الأسيوية. باريس سنة ١٩٢٦

١٩ ـ ت. وير .... الشاعر عمر الخيام. لندن سنة ١٩٢٦

٢٠ ـ أ. كريستنسن .... رباعيات عمر الخيام. كوبنهاجن سنة ١٩٢٧

٢١ ـ ب. ساليه .... عمر الخيام عالم وفيلسوف. باريس سنة ١٩٢٧

٢٢ ـ د. روس .... مجلة مدرسة المباحث الشرقية. لندن سنة ١٩٢٧

٢٣ ـ أ. براون .... تاريخ فارس الأدبي. كمبردج سنة ١٩٢٨

٢٤ ـ ف. روزن .... رباعيات عمر الخيام. لندن سنة ١٩٣٠

٢٥ ـ مجلة لندن المصورة......... مخطوط مصور الخيام. لندن مايو سنة ١٩٣٠

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٥١٣٥
الترقيم الدولى 977 - 09 - 0623 - 9

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)